﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

يا الله ما أجمل هذا المثال الرائع، نادى النبي زكريا عليه السلام ربه واستجاب الله له وجاءه غلام سماه يحيي، فتربى على العلم والتقوى ولذلك أصلحه الله وأصلح له زوجه والسبب هو مسارعة تلك الأسرة في الخيرات ودعاء الله عز وجل خوفًا ورجاءً، فكانت هذه النتيجة السعيدة.

❋❋❋

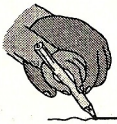

مهلا !!

خذوا نفسًا عميقًا واعتدلوا في جلساتكم..

قبل تسعة سنوات من الآن وفي عاصمة عربية مشهورة كان ماجد شابًا لم يتجاوز السابعة عشر من عمره، والده كان أحد التجار المشهورين في المدينة بل في الدولة كلها، تعرف ماجد على إمام المسجد المجاور للفيلا الخاصة بهم في ذلك الحي السكني الراقي، تعلم منه ماجد حب الله وحب رسوله ﷺ، بدأ نور الإيمان يشع من وجهه ابتسامة جميلة تعلو شفتيه دائمًا، كان ماجد يعامل والده بحب وتفان، يقبله عندما يراه قادمًا، ويقوم إليه مرحبًا، وبدأ الوالد يلاحظ تغير حال ماجد، ما عاد يسمع صوت الموسيقى الصاخب، الذي كان يخرج من غرفة ماجد، ما عاد يرى البنطال الجينز الذي يلبسه ماجد باستمرار، اصبح ماجد كثير الهدوء، دائم الذكر كثير القراءة للقرآن دائم المزاح مع والدته، لكن الوالد قد جن جنونه، هل يعقل أن يكون ماجد قد التزم واستقام؟

لا !!

لا يمكن ذلك!

أنا لا أرغب أن يكون لي ابن يحفظ القرآن!!

أنا لا أرغب في هذا التشدد!!

أنا لا أريد ولدي شابًا متزمتًا متشددًا!!

أنا أريده كلاسيكيًا غير متزمت!!

سبحان الله.

لقد عشش الفساد في رأس وعقل ذلك الأب المسكين، وبدأت المعاناة، أصبح يضايق ماجد بعبارات بذيئة:

ما هذه السخافات التي تفعلها؟!

لماذا تقرأ القرآن؟!

هل هذا وقت صلاة؟!

هل مات أحد؟!

لماذا تلبس هذا الثوب!

أنا لا أحب هذه المناظر.

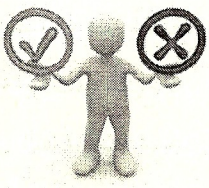

أصبح ماجد يستيقظ لصلاة الفجر، ويطرق الباب على غرفة والده، هيا يا أبي استيقظ للصلاة، ويكاد الأب يفقد صوابه، إنه لم يصلي ركعة منذ أن تزوج، والآن يأتيه هذا الابن المغفل ليطرق عليه الباب في الليل ليصلي.

بدأ الأب يسيء إلى ماجد، يضربه بشدة، يحطم ويكسر له أشرطة القرآن والمحاضرات التي يمتلكها ماجد، وكثيرًا وهُم على مائدة الطعام كان الوالد يقلب المائدة على ماجد ويسبه سبًا شديدًا.

في يوم من الأيام طرق عليه ماجد باب غرفة النوم؛ ليوقظه لصلاة الفجر، ففتح والده الباب ثم بصق في وجه ماجد، ابتسم ماجد وانصرف.

أدرك الأب أنه إذا أبعد ماجد عن رفقته الصالحة فسوف يعود إلى طبيعته، من مشاهدة للتلفاز ومصاحبة للفتيات، وسماع للغناء، فذهب إلى إمام المسجد المجاور بعد إحدى الصلوات، ذهب إليه وكلمه بعنف، قال له:

لماذا أفسدتم علي ولدي؟!

ابتسم الشيخ قال: نحن لم نفسد ولدك، بل دللناه على طريق الخير وأرشدناه إلى سبيل النجاة فابنك الآن يحفظ ستة أجزاء من القرآن وهو حريص على الصلاة لا تفوته تكبيرة الإحرام.

قال له ذلك الأب: أيها الحقير! لو رأيت ابني يمشي معكم مرة أخرى أو يذهب إلى حلقاتكم ودروسكم والله لأحطمن مفاصلكم، ثم بصق في وجه ذلك الشيخ! ليرد عليه الشيخ، جزاك الله خيرًا وهداك ربي، ومسح الشيخ لحيته وعاد إلى المسجد.

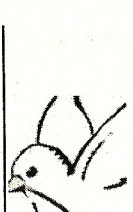

ومرت الأيام وحاول ماجد أن يتعامل مع والده بلطف، يرسل إلى أذنيه كلمات المودة والأدب ويُري عين والده أخلاقًا حسنة، ويُشعر والده باستعداده لخدمته، ولكن الأب ماضٍ في عناده وغيه.

كان لماجد ابن عمٍ فاسد، مشهور بفسقه وضياعه، فاقترح عليه والد ماجد الذي هو عمه، أن يأخذ ابنه إلى دولة غربية ليبعد ابنه عن جو الاستقامة الذي يعيشه، وبالفعل، أسرع ابن العم إلى ماجد، يا ماجد عندي لك مفاجأة، سأذهب أنا وأنت في زيارة إلى أسبانيا، إنها الأندلس، ذات الآثار الإسلامية والعمرانية المشهورة، وماجد كان في

بداية الاستقامة وانطلت عليه الحيلة، واستعد للسفر مع ابن عمه، كان والد ماجد قد تكفل بتذاكر الطيران وقيمة الفيزا، ومصاريف الإقامة هناك فهو تاجر ثري من تلك المدينة .

حلقت طائرة الأحزان إلى أين، إلى مدريد، وهناك حدث ما لم يكن في الحسبان، مر الأسبوع الأول وابن العم يحاول إفساد ماجد كان الفندق قريب من المراقص والملاهي الليلية فكان ابن العم ينزل إليها ويترك ماجد الذي يرفض مشاركته إلا في النزهة الصباحية لبعض معالم المدينة الحضارية ولكن صور النساء العاريات، وكثرة الفتن والمغريات بدأت تفت في عضد ذلك الشاب، أقنعه ابن عمه بأن هذا الملهى مليء بالألعاب، فذهب ماجد إلى هناك، لعبا سويًا، حاول ابن عمه أن يعطيه سيجارة، لكنه رفض.

في اليوم الثاني انتقلا إلى ملهى آخر وشيئًا فشيئًا، بدءا يتابعان العروض المسرحية والرقصات المستمرة.

وبعد أيام.. ترك ماجد الصلاة التي كان يصليها في الفندق، نسي الأذكار التي كان يحرص عليها صباحًا ومساءً، اسودت الشفتان من التدخين طيلة هذا الشهر، ذبل الجسد كثيرًا من السهر، وبدأت

الابتسامة تعلو على شفتي ابن عمه، فقد نجحت خطته في تحويل ماجد من الاستقامة إلى الضياع!

وفي يوم من الأيام كان في مرقص ليلي فعرض عليه سيجارة محشوة بنوع فاخر من المخدرات، لا يستخدمها إلا المحترفون وقبلها ماجد وسقط في بئر الظلمات!

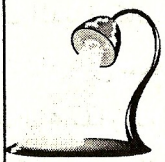

هل تذكرون جميعًا ذلك الوجه المتورد الذي يمتلئ نورًا وإيمانًا؟

هل تذكرون ذلك الهدوء الذي كان يكتنف ماجد؟

هل تذكرون تلك الشعرات الصغيرة القليلة التي كانت تزين لحية ماجد؟

كل ذلك أضحى سرابًا، سواد حول العينين سهر ومسكرات، وزنًا وراقصات وتضييع للصلوات.

ويتصل ماجد أبي كيف حالك؟ أرسل لي من فضلك خمسة آلاف دولار، ويكاد الأب يطير من الفرحة، فقد تغير ابنه.

كان ابن عم ماجد يخفي عن عمه والد ماجد قصة وقوع ابنه في المخدرات، ومر أسبوع آخر وطالبا بتحويل مبلغ آخر، وأسبوع ثالث

ويطالبان بتجديد الفيزا لشهرين آخرين، و .... و .... لا تسألوا عن ماجد.

أصبح ابن عمه يركض وراءه ليخرجه من أوكار المخدرات في شوارع وأزقة مدريد، وخلف دورات المياه في المراقص الليلية البغيضة، هرب ماجد من الفندق أكثر من مرة، فقد تطور الأمر إلى هيروين، عن طريق إبر الوريد.

في يوم من الأيام وتحت جسر مظلم في طرف المدينة، كانت الرابعة فجرًا وكان ماجد يضرب إبرة جديدة، وفجأة تناهى إلى سمعه صوت نداء معروف، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، يا رباه، قال ماجد: لقد سمعت هذا النداء من قبل! وصور سريعة تمر كفلاشات كاميرا تصوير ليلية، صورة المسجد، صورة إمام المسجد الموقر، لحيته الجميلة، الزاوية المفضلة التي كان يجلس فيها ماجد، يتلو القرآن ويقرأ الأذكار، تلك الحديقة التي كانت بجوار المسجد وكان دائمًا يتناول فيها الإفطار مع الصحبة الصالحة، غرفته، سجادة الصلاة، والدته الجميلة، صورٌ كثيرة وهو الآن بين أكوام من القاذورات، تحت جسر مظلم يختبئ من كل الناس، يزرع في وريده سما قاتلا، دعا ماجد

داعي الإيمان، وحاول أن يقوم من مقامه، لكن محلول الإبرة كان أقوى، خدرته تلك الجرعة ليسلم جفناه للنوم فقد أضحى أسيرًا.

أسقطتني إبرة في وحلها

كم طوى العمر على ذل وهون

آه منك يا أبي آه وآه

بعد ما كنت على حق ودين

سُقتني نحو الآسى يا والدي

كيف أحيا وأنا عبد سجين

بين أحضان الغواني جئتني

كي أعيش العمر مسكينًا حزين

سورة الرحمن قد أنسيتها

آل عمران مضت والمؤمنون

آه من ليلٍ على أسقامه

أكتوي به ويأتيني المنون

آه لـــــو كنـــــت رفيقًـــــا يـــــا أبي

كنـــــت تـــــدعوني إلى الخـــــير المبـــــين

آه لـــــو كنـــــت حنونًـــــا يـــــا أبي

مـــــا تركـــــت الابـــــن في ذل وهـــــون

ويجده ابن عمه بعد أربعة أيام، ويذهب به للمستشفى بصعوبة، ويتم جزء يسير من علاجه ويصرخ ماجد أعطوني إبرة، أعطوني إبرة، أرجوكم.

وتنتهي مدة الفيزا، ويحاول ابن العم إقناع ماجد، هيا لنعود إلى أرض الوطن!

ويصرخ ماجد، لا. أنا لا وطن لي، أنا لا والد لي، أنا لا أب لي، أنا لا أسرة لي، أنا وطني ووالدي وأسرتي ربع جرام من المسحوق الأبيض، ويستعين ابن عمه ببعض رجال الشرطة المختصين بترحيل المتخلفين من السياح، ويجبر ماجد على الصعود إلى الطائرة، وهناك على كرسي الطيران يصرخ ماجد وابن عمه يحاول كتم صوته، ويربط له حزام الجلوس وطوال الرحلة صرخات ماجد التي يريد الإبرة لا تتوقف.

وهناك في أرض الوطن حطت الطائرة بعجلاتها لتسقط مع العجلات كل الآلام والهموم على والد ماجد.

كان في استقبالهم فرحًا مسرورًا لأنه يعلم أن ماجد ترك الالتزام والاستقامة، كان واقفًا بين الجموع يبحث عن ابنه وابن أخيه ومن بعيد رأى ابن أخيه بصحبة شاب يلبس زيًا غريبًا وله قصة شعر ملونة وهو يستند على ابن أخيه، من يا ترى هذا القادم!

وما أن وصل ماجد حتى رفع كفه ليصفع والده على وجهه بأقوى ما يملك، ويصرخ الوالد، هل هذا هو ماجد هل هذا هو ولدي، لا لا يمكن، ولدي كان أبيض وسيمًا، فما باله الآن مصفرًا أسود ماذا فعلت بولدي يا رجل وصار الرجل يضرب ابن أخيه في صالة المطار **ويقول:** يا عمي هو من وقع في المخدرات، هو من اختار هذا الطريق.

ويعود الأب بالابن المدمن، الابن الوحيد، يعود ليحاول أن يستر على ولده، وينفق من أمواله عليه، حاول أن يعالجه في المستشفيات الخاصة لكن الهموم تزيد، والآلام تتفاقم، تعدى ماجد على والده بالضرب أكثر من مرة، سرق الكثير من ذهب والدته، وبدأت تجارة الأب تخسر، لقد أصبح الأب يخاف من صرخات ولده،

واستخدامه للسكاكين في التهديد، فبدأ الأب يشتري له المخدرات سرًا .

وفي يوم من الأيام وبعد صلاة الجمعة ذهب الأب إلى ذلك الإمام الشيخ **وقال:** سامحني يا أخي، سامحني أنا بصقت في وجهك، أنا أسأت إليك، أنا عاملتك بغير أدب، ولكن الآن ولدي أصبح أسيرًا للمخدرات، أرجوكم أرجعوه كما كان. أرجعوه للصلاة، أرجعوه جميلا طاهرًا.

فابتسم الشيخ وقال: يا أبا ماجد ادع الله بصدق فهو الذي بيده الهداية وحده.

وفي ليلة مظلمة في آخر الشهر، بعد مرور أسبوعين من هذا اللقاء، كان جنازة والد وأم ماجد يصلى عليها في ذلك المسجد، فقد قتلهما ماجد خنقًا لأنهما لا يملكان أموال المخدرات، ومن خلف القضبان كانت دموع ماجد تنزل غزيرة، لماذا يا أبي، لماذا فعلت هذا بي يا أبي، ألم يأمرك الإسلام بالرفق بأبنائك، يقضي الآن ماجد عقوبة السجن خمسة وعشرين سنة.

يا أيها الآباء، يا أيها الأولياء، هل لديكم منهجًا أفضل من منهج الله عز وجل، هل لديكم تربية أفضل من تربية رسول الله ﷺ إن

الرفق بالأبناء أيها الآباء مطلوب، رفقًا يقودهم إلى الإسلام وليس يبعدهم عنه، كم من أبٍ يتألم من أجل ابنه استقام واهتدى، وكم من والد يحاول إغواء ابنته التي تطلب منه أن ترتدي الحجاب الشرعي الكامل.

***

سُمية والحجاب

والله يا أحباب، والله كلمتني سُمية وهي تبكي!

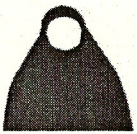

تقول لي في سماعة الهاتف، والدي يرفض أن أكون محجبة، ويجبرني أن أخرج أمام الناس بشعري وزينتي، ماذا أفعل أرجوك، هل سيدخل أبي النار؟

قلت له كثيرًا يا أبي اتقي الله فيَّ، أنا فتاة صالحة، لكنه لا يبالي بكلماتي ويتلذذ بإهانتي وضربي أمام إخوتي الصغار ومع هذا فأنا أحاول ستر ما يمكن من جسدي.

عند نزولي للجامعة، صدقني يا شيخ، في إحدى المرات أجبرني على أن ألبس بنطال له لون غريب الأمر الذي أثار دهشة زميلاتي وصديقاتي، وهن يقلن: ما لك يا سُمية، كل يوم لك وجهٌ مختلف، إنني الآن أبكي الليل كله، وأقول يا رباه! كل هذا عدم رضا منك عني، ما هو جزائي وقد ابتليتني يا ربي بهذا الوالد العاصي.

هل تصدق يا شيخ إن والدي إذا دخل المنزل ليلاً بعد سهرة طويلة على القهوة وسمع صوت جهاز التسجيل الخاص بي ينبعث منه صوت تلاوة أو محاضرة دينية يغضب كثيرًا وربما تَعجب، وفي كثيرٍ من الأحيان يغلق المسجل أو يركله بقدمه.

يا شيخ أريد أن أقترب من ربي أكثر أتمنى أن أكون في يوم القيامة مع أمهات المؤمنين وأزواج الصحابة الطاهرين، لقد آذاني والدي فماذا أصنع حتى طريقته في المزاح سيئة جدًا، فهو يقول لي:

* أليس لك حبيب؟!

* لماذا ليس لك صديق تعطينه مشاعرك وأحاسيسك؟!

أهرب من حديثه إلى غرفتي والدموع تغرقني، يا ترى أليس لهذا الأب طهرٌ فيحافظ عليه، أليس له عرض يفتخر به، إنني أرى بعض الآباء يا شيخ لا يخرجون بناتهم إلى الشارع إلا بحجاب شرعي ساتر، فلماذا أنا الوحيدة في العالم التي تعاني كل هذه المعاناة، والله يا شيخ لو كانت فتاة أخرى غيري لاستمتعت بالشهوات والمحرمات لكن قلبي مليء بالخوف من الله، قلبي يحب الله سبحانه وتعالى، ولا يتعلق إلا به جلا وعلا.

قلت لها: مهلًا يا سُمية، فهذا والدك أكثري من دعاء الله أن يهديه ويصلحه، فربما دمعة واحدة صادقة منك فتحت له أبواب السماء، قولي معي يا سُمية: يا ربي أصلح آباء المسلمين، يا رب أعنهم على أداء الأمانة ورعاية الذرية، يا رب أنت وحدك المعين.

وأغلقت سُمية سماعة الهاتف، ودموعي تسابقني والنار تأكل قلبي والغيظ يملأ جوارحي، ترى هل يُخرج آباء اليوم جيلا يحرر الأقصى.

لماذا هذا حال كثيرٌ من الآباء اليوم، يا أولياء الأمور، أولادكم اليوم، والله! والله! والله لا يريدون طعامًا، لا يريدون شرابًا، لا يريدون كساءً، بل يريدون إسلامًا وتقوى، تؤجج فيهم القنوات والأغنيات الفِحشاء وتوقد فيهم نار الشهوة، وبعد هذا هم يجدون آباءً يبعدونهم عن الله سبحانه وتعالى.

آباء اليوم همهم الأموال والرواتب والأسهم.

آباء اليوم لا يسألون البنات مع من يذهبن ويرجعن!

آباء اليوم يشاهدون أبناءهم يدخنون فلا يحزنون !

آباء اليوم يجلسون أمام التلفاز ومع القهوة أكثر من جلوسهم مع أولادهم وبناتهم.

كم من ابن يتمنى أن يضمه والده بين ذراعيه، وكم من فتاة تتمنى أن يلاطفها والدها.

كم من قلبٍ قاسٍ بحاجة أن يسير على نهج محمد ﷺ.

اسمعوا!

قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: قَبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا، فقال الأقرع: يا رسول الله ! أتُقبلهم؟! إني لي عشرةً من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «من لا يَرحم لا يُرحم».

سبحان الله!

ما أعظم عطفك يا رسول الله، وما أجمل بِرك وشفقتك.

يقول أسامة بن زيد رضي الله عنه وأرضاه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه، ثم يأخذ الحسن بن علي فيقعده على فخذه الآخر ثم يضمهما ثم يقول: «اللّهم ارحمهما فإني أرحمهما».

أسألكم بالله يا آباء، كم نحن مفرطون في تربية أولادنا، كم من شاب ينام على فراشه وهو واقع في معصية أو فاحشة أو مصيبة، وفي داخل نفسه يقول: السبب هو أبي، هو من فتح لي باب الإنترنت!

هو لا يحاسبني على الصلوات !

هو لا يعاملني بلطف، كل شيء بالأوامر والنواهي والزواجر .

كم من فتاة تنام على فراشها وهي تبكي، تتمنى أن يتقدم لها عريس صالح ولكن الأب طماع يريد الأموال الكثيرة، وربما يرفض فقط لأنه يشعر بالسلطة والنفوذ، ولو تنبه ذلك المسكين إلى أن المسلم إذا ربى بناته فأحسن التربية وأنفق عليهن وزوجهن فإنهن يصبحن حجابًا له يقيه من النار.

انصتوا جميعا إلى هذا الحديث الجميل!

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني امرأة معها ابنتان تسألني شيئًا فلم تجد عندي غير تمرة واحدة، فأعطيتها التمرة فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت من عندي، ثم دخل النبي ﷺ فحدثته فقال: «من يلي من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن كن له سترًا من النار».

روى أحمد والطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كانت له ثلاث بنات يؤدبهن ويرحمهن ويكفلهن وجبت له الجنة البتة» قيل يا رسول الله: فإن كانت اثنتين؟ قال: «وإن كانت اثنتين» قال بعض القوم: والله لو قلن وواحدة، لقال وواحدة.

ما أجمل أيها الآباء رعاية الفتيات، والإحسان إليهن وما أجمل الاهتداء بهدي النبي ﷺ.

والله إن سبب وقوع كثير من الفتيات في المعاصي والفواحش والزواج العرفي وما شابه ذلك هم الآباء في كثير من الأحيان، إما لعدم التربية، وإما لعدم العطف والحب، فهن يعطين الحب لأقرب إنسان يبادلهن ذلك الشعور، وإما لعدم تزويجهن.

❋❋❋

مأساة فتيات

كتبت إليّ كريمة تقول:

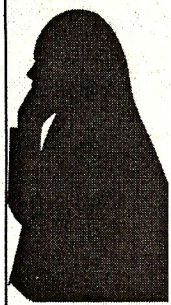

يا شيخ نحن ثلاث فتيات وجميعنا مدرسات وأنا الصغرى ووالله أبلغ الآن ستة وثلاثين سنة ولم أتزوج، وأختي الكبرى جاوزت الأربعين، لقد تقدم لنا الكثير من الخطاب، لكن الوالد يرفض لجشعه وطمعه في أموالنا، وهو لا يشعر بأحاسيسنا أبدًا، تذهب كل واحدة منا إلى فراشها وتضع رأسها على وسادتها وهي تسبح في بحر الآمال تفكر في زوج صالح حنون، وأطفال يملئون البيت سرورًا وهناءً، لكن تتحطم تلك الآمال على صخرة الواقع.

لكم احتقرنا والدنا عندما يتحدث معه عمي عن تزويجنا، فيقول والدنا : هن لا يرغبن، ولقد حاولت معهن، يا الله، كأنه والله يذبحنا بسكين حين يكذب، تهلل أسارير وجهه عندما يأتي آخر الشهر، وهو يجمع الآلاف من بناته.

والله ثم والله، يمر علينا العيد ثم العيد وليس لنا جديد إلا إذا طالبناه وسألناه برجاء يعطينا المال القليل وكأنه يتصدق علينا، وتسرع إحدانا إلى غرفتها والدموع تسبقها، أحدثك عن نفسي يا شيخ أحمل وسادتي وأخفي فيها وجهي وأقول: إلى متى يا ربي هذا الذل، هل أنسته تلك الأموال مشاعر بناته، هل غاب عنه كم قلوبنا بحاجة إلى سقاء الحب والحنان والعطف والأمان، أتخيل في غرفتي طفلا يقول: ماما فأحمله وأقبله وتطربني ضحكاته، أتمنى زوجًا يملأ حياتي سعادة، أحاول أن أؤدي بعض النوافل من صيام وقيام بالليل فما أستطيع، فالقلب والفكر مشغول، والله ما فكرنا في حرام قط، ولو كانت فتاة غيرنا لفعلت وفعلت، فالمغريات كثيرة، والفتن عظيمة، لكنه الخوف من الله عز وجل الذي يملأ قلوبنا حينما تدعونا بعض الصديقات إلى حفل زفاف أو عرسٍ تسبقنا دموعنا ونحن نرى

فستانها الأبيض الجميل يزينها بين الحاضرات، ونظرات النساء تكاد تقتلعنا من أماكننا، وهمسات بعضهن لبعض، لماذا لم تتزوج بنات فلان؟!

وكأن العيب فينا، سبحان الله.

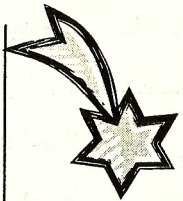

والله يا شيخ، إننا نموت في اليوم ألف مرة، وتداهمنا الوساوس ألف مرة، ويحاول الشيطان إسقاطنا ألف مرة، كل هذا سببه أبٌ قاسٍ، ووالد جاهل، ومربٍ جشع.

قل لوالدنا يا شيخ ليأخذ كل أموالنا، ليأخذ ملابسنا، ليأخذ صحتنا، ليأخذ أحلامنا، عقولنا ليأخذ كل شيء، ليعطينا فقط حياة زوجية سعيدة.

لكن هيهات يا أبي، لقد مات أبي، مات والله وفرحنا بموته، لا تتعجب مني يا شيخ، لقد مات أبي السجان الذي كان يغلق علينا باب الزنزانة، مات الحارس الذي جوعنا فما رعى حقنا، ولا أدى أمانتنا.

كنت بجواره حين يحتضر، كانت أخواتي الباقيات يبكين، لكنني لم تنزل من عيني دمعة واحدة، فهو الأب الذي حطم مستقبلي ودمر حياتي، كان يحتضر ويخرج الروح وكان قلبي يشتعل غيظًا وألمًا فها هو يرحل، ونحن عوانس، فقعدت عند رأسه وقلت له: قل آمين يا أبي، فقال آمين قلت: حرمك الله من الجنة، كما حرمتنا من الزواج، ونظر نظرة شفقة وقال: سامحوني، سامحوني، ولكن والله قلوبنا جميعًا لن تسامحه، بعد أن ذبلت زهرتنا، وضاعت أحلامنا، قلت: الآن تتأسف، الآن تعتذر!

أين أنت من دموعنا وبكائنا، أين أنت من وحدتنا القاسية التي عانيناها وحدنا، أين أنت من وجوهنا التي قطعتها ألسنة الناس التي لا ترحم، لكن حسبنا الله ونعم الوكيل، وأنهت كريمة رسالتها.

ورحلـــــت وفي الأحـــــشاء حزنًـــــا

ورحلـــــت وفي الأجفـــــان دمعًـــــا

نـــــار تـــــذيب قلوبنـــــا

ويـــــشقنا ســـــيفًا وفـــــأس

ضـــــاعت زهـــــور حياتنـــــا
مـــا طـــاب مـــن كفيـــك غرسًـــا
ذبلـــــــت ورود جمالنـــــــا
هـــل ســـوف يـــسقي الـــورد حـــبٌ
إنـــــا لنبكـــــي يـــــا أبي
هـــل يـــا تـــرى ينـــزاح ضـــيمٌ
أزواجنـــا أولادنـــا أرواحنـــا أكبادنـــا
هـــل يـــا تـــرى ســـيجيء شـــهمٌ

يا أيها الأباء يا أيها الأولياء رفقًا بأولادكم وبناتكم، بالله عليكم لا تقتلوا أولادكم، لا تغتالوا مشاعرهم كونوا قريبين منهم، مدوا لهم أيديكم، مدوا لهم أطواق النجاة في مجتمعهم البائس.

هل تخيلت أيها الأب هذه الصورة! شاهدها معي بعينيك واستمع إليها بأذنيك واترك لمشاعرك العنان، هل تخيلت يومًا عندما تكون في الجنة، وسط الحدائق والبساتين تفرح وتضحك وبجوارك زوجتك وأولادك وبناتك، سبحان الله، ما أجملها من لحظة، نعم في الجنة أنت وأولادك وأولاد أولادك، الـذين ربيـتهم عـلى الإسـلام، وعلمـتهم

القرآن، وبناتك الذين أحسنت إليهم ورفقت بهم وأصلحت تربيتهم، هل رأيت هذه الصورة الجميلة، إذا فلتحققها من الآن تأمل معي هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۞ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۞ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾[الطور:٢١-٢٣].

الله أكبر! ما أعظم جودك يا ربنا، أرأيت أيها الأب، إن السعادة الكاملة هناك في الجنة، فلتربي أولادك وبناتك على مرضاة الله جل وعلا، والقرب منه سبحانه وتعالى، ورفقا رفقا، فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه .

أرسل يومًا معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه إلى الأحنف بن قيس رحمه الله فقال له: يا أبا بحر، ما تقول في الولد فقال: يا أمير المؤمنين: هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم،

ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك، ويحبوا وفاتك.

فقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لله درك يا أحنف، والله لقد دخلت عليّ وإني لملوء غضب على يزيد فأخرجت هذا الغضب من قلبي.

فلما خرج الأحنف من عنده أرسل معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لولده يزيد بمائة ألف درهم، فتعجب يزيد وعلم أن الأحنف طيب خاطر معاوية، فأهدى يزيد للأحنف مائة ألف درهم.

سبحان الله، هكذا كان الآباء يدركون قيمة الأبناء، ويشعرون بهذه النعمة الجليلة التي أعطاهم إياها رب الأرض والسماء سبحانه وتعالى.

يا كل أب قاسٍ تذكر أن لك يوم عند ربك ستحاسب فيه عن كل صغيرة وكبيرة، فاحذر أن يكون همك الدنيا وشهوتك، فتقدم هذا على دينك وتربيتك لأولادك، واعلم أن من أعظم الأشياء أن تترك ولدًا بعد موتك يدعو لك بالمغفرة والرضوان، والسكنى في أعالي الجنان، تأمل حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إذا مات

ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولدٌ صالح يدعو له».

يا الله، يا الله، ما أجمل هذا، يكون لك بعد موتك ولدٌ أو فتاة يدعوان لك بكل خير، لكن ماذا لو كنت قاسٍ سيئًا، لوجدت من يدعو عليك لا لك، لوجدت من تمنى موتك ويبحث عن رحيلك.

❋❋❋

زوجة الأب

أغمضوا أعينكم، واحبسوا أنفاسكم، فإليكم قصة محمد ونادر وياسمين، لقد نشأوا في بيت مظلم مليء بالآلام، والسبب هو الأب الذي طلق والدتهم الصالحة، بعد أن رأت مصاحبته لأصدقاء السوء وركضه وراء الشهوات، لم تستطع التحمل، نصحته كثيرًا لكن لا فائدة، طلبت الطلاق فطلقها، وزيادة في غيظها، أخذ أولاده عنده في البيت وحرمها منهم، ومرت الأيام، ليتزوج ذلك الأب المجرم من امرأة تفوقه في الإجرام والعنف.

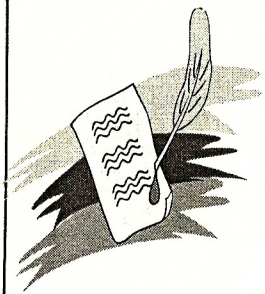

كان لا يرحم توسلات ابنته ياسمين ذات الاثني عشر ربيعًا وهي تطلب من والدها أن تذهب لزيارة أمها لكن القلب المتحجر ما كان ليلين، تجري ياسمين لتضم أخاها الأصغر محمد إلى صدرها وتبكي

ويمسح نادر ابن الثمانية أعوام دموع أخته **ويقول:** إن شاء الله ماما ستزورنا.

لا تسألوني عن معاملة زوجة الأب الحاقدة، فقد كانت تحبس ياسمين في غرفة وحدها، وتضع لها رغيفًا وقطعة جبن وكوب ماء، ثم تتركها حتى تتفرغ للتلفاز حتى يعود الأب من عمله ليلا، وأما نادر ومحمد فقد كانت المعاملة أقسى وأشد، تحبسهم في غرفة أخرى وحدهما ولا تخرجهما إلا إلى الحمام بعد عناء ومشقة وضرب وصراخ، ويعود الأب ليلا يبحث عن شهوته فقط، وتتمنى ياسمين أن يلمح الأب في عينيها صور الحزن الأليمة، لكن نظرات زوجة الأب المرعبة تجعل ياسمين تطرق الرأس خوفًا، والويل كل الويل لمن يفتح فمه دون إذن، تجرأ نادر يومًا **وقال:** بابا خالتي لا تعطينا أكل، انقلبت تلك الليلة إلى أحزان، وفي الصباح انتقمت تلك السجانة الغليظة فجعلت تلطم وتضرب وتعذب واستغاثة نادر لا تصل إلى ياسمين أخته التي كانت مسجونة هي الأخرى . لكم أن تتخيلوا مشاعر أمهم المسكينة التي ما وجدت معينا من أهلها أمام جبروت ذلك الأب وقسوته، تنام الأم وتصحوا في بيت أبيها، وهي تمسك بصور أولادها الثلاثة فتقبلها وتضم الصور إلى صدرها وتترك لدموعها حرية الانطلاق على وجنتيها.

وتواصل زوجة الأب مسلسل البغض والكراهية والقسوة وتستمر في حبس الأولاد، وفي يوم من الأيام غربت شمسه ودخل الظلام ليحل معه ظلم هذه المرأة أدخلت محمد ونادر إلى الغرفة ووضعت عندهم ذلك الوعاء البلاستيكي الذي يوضع للأطفال الرضع لقضاء الحاجة ووضعت زجاجة ماء صغيرة وأغلقت الباب عليهم بقسوة وشدة وانصرفت لتحبس ياسمين هي الأخرى في غرفتها، وبدأت تجهز المكياج لاستقبال ذلك الأب الغافل عن أولاده لم يخطر في بالها في يوم من الأيام ماذا لو أنجبت طفلا وحدث له ما حدث لهؤلاء الأطفال، وبدأ محمد يشتكي لنادر: لماذا يا نادر بابا لا يحبنا؟ وبكل براءة طفولية محمد الذي يبلغ ست سنوات ونصف يسأل نادر الذي يبلغ ثمانية أعوام، ويجيب نادر: لا أدري يا محمد، بدءا يتحدثان عن أمهم الجميلة التي لم يروها منذ أربعة أشهر، مر الوقت سريعًا ودخل الأب إلى المنزل واستقبلته زوجته السجانة سأل عن الأولاد قالت: ناموا في غرفهم ثم بدأ الأب بتناول طعامه وبعد ذلك دخل لينام بعد مدة دقت ساعة الحائط تعلن دخول الثانية عشر ليلا، وهناك في غرفة محمد ونادر كان نادر يطرق الباب بهدوء فهبت هذه المرأة من فراشها، هبت وهي تحمل معها كل معاني البغض والغيظ والكراهية، جاءت وفتحت الباب، صرخت ماذا تريدون يا

مجرمين، وجدت محمد ببراءته يقول: خالتي أريد أن أذهب إلى الحمام رفسته بقدمها في بطنه ليسقط على الأرض ويتأوه، آه، آه قالت: ولماذا إذًا وضعت لكم هذا، وأشارت إلى ذلك الوعاء البلاستيكي وزجاجة الماء، كانت دموع محمد تتحجر على وجنتيه الصغيرة، وتمر أمامه صورة أمه الحنونة وكأن قلبه يخاطبها: آه يا أمي، لو كنت عندنا ما حصل لنا ما يحصل الآن.

انصرفت وأغلقت الباب وراءها بقوة، ظل محمد يبكي لمدة نصف ساعة وأخوه نادر يهدئه وبعد لحظات استسلم محمد للنوم، فحضنه أخوه نادر واستسلم هو أيضًا للنوم، مرت عقارب الساعة محملة بالآلام، وفي تمام الساعة الثالثة فجرًا استيقظ نادر على صوت أخيه محمد وتوسلاته واستغاثاته .. آه آه سأموت، سأموت، تذكر نادر أن المعلم أخبرهم بأن المريض تقرأ عليه سورة الفاتحة فبدأ يرتل بصوت طفولي على أخيه محمد سورة الفاتحة ويمسح على بطنه، وفجأة بدأ يصرخ محمد صراخًا عجيبًا ثم فجأة سكت وابتسم ابتسامة طويلة وقال: نادر أنا أحبك وأحب أمي وأختي ياسمين لكني لا أحب بابا ولا أحب خالتي، ثم شخصت عيناه وثقلت رأسه على يد أخيه نادر ومات.

كاد نادر يفقد صوابه إنه صغير يدرس في الصف الثالث الابتدائي إنه يسمع عن الموت لكن يا ترى هل مات أخوه محمد فعلا، هل ودع الحياة، وضع أذنه على صدر أخيه فلم يجد شيئًا، صمت غريب في الغرفة، لا صوت سوى صوت الدمعات التي بدأت تنزل من عيني نادر، هل تعلمون ماذا فعل نادر، طرق الباب لمدة ساعة كاملة فلم يفتح أحد الباب فكر ماذا سيفعل بأخيه محمد، إنه يعلم أن الميت لابد أن يغسل ولا بد أن يصلى عليه، فقام إلى الماء الموجود في تلك الزجاجة وبدأ يغسل رأس أخيه محمد ويصب الماء على بقية جسمه من فوق الملابس، ثم جرد أخوه من ملابسه ولفه بعد ذلك في ملاءة السرير وقطعة القماش التي كانت فوق سريرهم ثم بدأ يتذكر كيف أن مدرس التربية الإسلامية في مدرستهم قد شرح لهم كيفية الصلاة على الجنازة، إنه يتذكر أنها أربعة تكبيرات لكن لا يتذكر ماذا سيقول فيها، وبكل براءة قام ووضع أخاه محمد أمامه وكبر التكبيرة الأولى وقال يا رب هل سيذهب أخي محمد إلى الجنة يا رب هل ستعلم أمي بذلك يا رب هل ستسامح أبي، كانت دموعه تجري وصور عديدة تمر عليه شعر كأن يد أمه الحنون جاءت لتلامس كتفه وتهدئ من روعه، وظل منذ تلك اللحظة يطرق الباب حتى قرب وقت الظهر فاستيقظت تلك الزوجة على تلك الطرقات وأيقظت الأب القاسي لتقول له قم

إلى أولادك فهم لم يتركوني أنام من الليل وإذا لم تقم لهم فسأذبحهم، نهض الأب من فراشه، فتح الباب بقوة صرخ نعم ماذا تريدون فوجئ بوجه نادر مصفرًا كان يقف أمام الباب مباشرة قال: بابا محمد أخي مات، قال الأب ماذا، ماذا، مات .

توجه الأب مسرعًا إلى ولده وتحسس قلبه فإذا هو بارد كالثلج، حمل ولده إلى أقرب مستشفى وهناك أخبره الطبيب أن الوفاة حصلت قبل تسع ساعات بسبب انفجار في المثانة وفي تلك اللحظات نزلت دموع الأب غزيرة.

أما والدته فلا تسألوا عنها، هي لا تعلم بقصة الوفاة لكن الحزن يعتصر كل خلية في جسدها، عاد الأب ليقبل ولده نادر وابنته ياسمين كان يرى بعض ألعاب محمد فيبكي، كان يشاهد بعض أثاره في المنزل فيتألم، تمنى لو ترجع الساعات إلى الوراء ليضم ولده إلى صدره قبل موته، تمنى لو كان يأخذهم معه في نزهة أو رحلة ليشعرهم بشيء من السعادة لكن من سيرجع له ما رحل ومع كل عبرة تسقط من عين ذلك الأب كانت تحمل صورة لمحمد وهو يجري في طفولته قبل أن يطلق أمه وصورته وهو يداعبه على السرير قبل أن يحبو وصورته وهو يتسند على الحائط كان لسان حاله يقول :

أيـــن الـــضجيج العـــذب والـــشغب
أيـــن التـــدارس شـــابه اللعـــب
أيـــن الطفولـــة في توقـــدها
أيـــن الـــدمى في الأرض والكتـــب
أيـــن التبـــاكي والتـــضاحك في
وقـــت معًـــا والحـــزن والطـــرب
يتزاحمـــون عـــلى مجالـــستي
والقـــرب منـــي حيـــثما انقلبـــوا
فنـــشيدهم بابـــا إذا فرحـــوا
ووعيـــدهم بابـــا إذا غـــضبوا
وهتـــافهم بابـــا إذا ابتعـــدوا
ونجـــيهم بابـــا إذا اقتربـــوا
في كـــل ركنًـــا مـــنهم أثـــرٌ
وبكـــل زاويـــة لهـــم صـــخبًا

في الزجاجـــــات زجاجهـــــا حطـــــم

في الحـــــائط المـــــدهون قـــــد ثقبـــــوا

في البـــــاب قـــــد كـــــسروا مزلاجـــــه

وعليـــــه قـــــد رســـــموا وقـــــد كتبـــــوا

في الـــــصحن فيـــــه بعـــــض مـــــا أكلـــــوا

في علبـــــة الحلـــــوى التـــــي نهبـــــوا

في الـــــشطر مـــــن تفاحـــــة قـــــضموا

في فـــــضلة المـــــاء التـــــي ســـــكبوا

إني أراهـــــم حيـــــث مـــــا اتجهـــــت عينـــــي

كـــــأسراب القطـــــا سربـــــوا

ذهبـــــوا، أجـــــل ذهبـــــوا ومـــــسكنهم

في القلـــــب مـــــا شـــــطوا ومـــــا قربـــــوا

دمعـــــي الـــــذي كتمتـــــه جلـــــدًا لمـــــا

تبـــــاكوا عنـــــدما ركبـــــوا

حتـــــى إذا ســـــاروا وقـــــد نزعـــــوا

مـــــن أضـــــلعي قلـــــب بهـــــم يجـــــب

ألفيتنـــــي كالطفـــــل عاطفـــــة فـــــإذا

بـــــه كالغيـــــث ينـــــسكب

قـــــد يعجـــــب العُـــــزّال مـــــن رجـــــل

يبكـــــي ولـــــو لم أبكـــــي فالعجـــــب

هيهـــــات مـــــا كـــــل البُكـــــى خـــــورٌ

إني وبي عـــــــــزم الرجـــــــــال أبُ

يا أيها الآباء اتقوا الله في أولادكم وبناتكم إن التربية الصحيحة لا تكون إلا:

أولاً: الرفق في المعاملة وحسن في الفعال كما كان النبي ﷺ يفعل مع أولاده وأولاد أولاده، بل دخل يومًا على أبناء جعفر بعد موت جعفر واستشهاده فجعل يقبلهم ويضمهم إلى صدره ﷺ.

ثانيا: تربيتهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فاحذر أيها الأب أن تربيهم على خلاعة وعلى مجون وعلى فسق وعلى ما يغضب الله فستحصد ما زرعته في يوم من الأيام وفي يوم القيامة يتعلقان برقبتك ويدعوان عليك بالنار.

ثالثًا: كن معهم جميعًا في قضاء شئونهم وحوائجهم لاطفهم وتحدث معهم وأعطهم أسرارك ليعطوك أسرارهم، قل لهم إنك تتمنى أن تحقق لهم أمنياتهم فما أجمل أن يؤثر هذا في قلوبهم.

رابعًا: أكثر من دعاء الله لهم بالصلاح والتقوى فإن دعاء الأب لابنه مستجاب بإذن الله وإذا أصلحهم الله لك فقد حصلت على الدنيا كلها.

خامسًا: من بلغ منهم سن الزواج كن معهم معينًا ومساعدًا حتى يحصن نفسه ويحفظها من الحرام ولا تبخل عليهم بقليل ولا بكثير فهذا المال إنما هو مالهم بعد رحيلك ولا تنس أن مشاعرهم الجميلة نحوك إنما تأتي بوقوفك معهم في مثل هذه المواقف العظيمة.

اللّٰهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن ترزق الآباء الرفق بأبنائهم، اللّٰهم ارزق آباء المسلمين الرفق بأبنائهم . اللّٰهم ارزقهم يا حي يا قيوم تربية أبنائهم تربية صالحة على ما تحب وترضى، اللّٰهم خذ بنواصيهم إلى

البر والتقوى، اللّهم حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق العصيان واجعلهم من الراشدين. يا رب يا رب كل أب قاسي نسألك أن تلين قلبه الليلة، يا رب كل أب قاسي نسألك أن ترقق قلبه الليلة على أبنائه وبناته .

يا رب كل أب معرض عن أبنائه وبناته غير مهتم بهم نسألك أن ترزقه الاهتمام بهم، يا رب كل أب ووالد لم يزوج أولاده وبناته نسألك الليلة أن ترزقه المعونة والمساعدة لهم لتزويجهم إنك على كل شيء قدير، اللّهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين وانصر عبادك الموحدين وأعلي كلمتي الحق والدين، اللّهم أقر أعيننا بعودة المسجد الأقصى سالمًا غانمًا إلى حوزة الإسلام والمسلمين إنك على كل شيء قدير .

تم الكلام وربنا المحمود وله المكارم والعلا والجود، ثم الصلاة والسلام على محمد ﷺ

***

إصدارات الدار
للشيخ محمد الصاوي

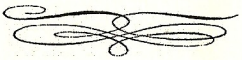

١- اللحظة الأخيرة.
٢- أرجوك لا تتزوجيني.
٣- أنا وحبيبتي.
٤- صاحبي قتلني.
٥- دلوني على الجميلة.
٦- ذكرياتي معها.
٧- ميجارتي.
٨- عائد.
٩- رمضان كريم.
١٠- الساحرة المستديرة.
١١- كيف الحال يا شباب؟
١٢- لماذا يا أبي؟
١٣- عيش حياتك.
١٤- أكرم مَلِك.
١٥- أعتق رقابنا.
١٦- إني أُحبه.